التعليق علي كتاب علم اللغة الاجتماعى

صدر في الاسبوع الاخير عن دار نشر عالم الكتب بالقاهرة (١٩٩٠) كتاب (علم اللغة الاجتماعي) تاليف العلامة اللغوي الانجليزي د.هدسون الاستاذ بجامعة كمبردج و ترجمة الدكتور محمود عياد الاستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة الكويت قسم اللغة الانجليزية .
و يقع الكتاب في ٣٩٦ صفحة من القطع الكبير ، يتصدره تمهيد للمترجم و مقدمة للمؤلف ، و هو مُذَّيل بثبت للمصطلحات الاجنبية و مرادفاتها العربية في ٣١صفحة .
و يتالف الكتاب من سبعة فصول يتناول كل منها بمجموعة من الموضوعات و القضايا اللغوية المتعلقة بالدراسة .فيبدأ بظواهر علم اللغة الاجتماعي و يصَنِّفها المؤلف إلي: عالم من الخيال، و عالم واقعي غريب ، و عالم واقعي و مألوف.و يعالج الفصل الثاني موضوع اللغة و اللهجة في أربعة مباحث هي : اللغات المتواضع عليها ، و تحديد ماهية اللغات ، و نموذج الشجرة الاسرية.و المبحث الثاني خاص باللهجات الأقليمية ، و خطوط توزيع اللغة ، و الانتشار و نظرية الموجات ، و اللهجات الاجتماعية ، و نماذج من الوحدات اللغوية .
و يتناول المبحث الثالث سجلات السياق و اللهجات ثم العرف و الضرورة، و اخيرا ازدواج اللهجات ((الديجلوسيا) ، في حين يتناول الرابع الشفرة ، و الاستعارة ، و الرطانة ، و الكريولية .
و تتوالي فصول الكتاب في معالجتها لقضية اللغة و الثقافة و الفكر الذي يركز فيه المؤلف علي بحث النسبية الثقافيةو النسبية اللغوية كما تتجليان في معاني الكلمات و المكونات الدلالية و بيان النماذج الأصول ، و ينتقل الي قضية اللغة ، و الكلام و الفكر حيث يعرض موضوع الكلام و الاستدلال و الكلام و اكتساب السلوك الاجتماعي ثم اللغة و اكتساب هذا السلوك .
و يختص الفصل الرابع بالبحث في الكلام باعتباره نوعا من التعامل الاجتماعي و رمزا للهوية الاجتماعية كما تتبين في القوة و التضامن .
و يتكوَّن الفصل الخامس الخاص بالدراسة الكمية للكلام من اربعة موضوعات هي (١) المناهج و المتغيرات اللغوية (٢) المؤثرات علي هذة المتغيرات و هي : السياق اللغوي ، و انتماء المتحدث إلي مجموعة ، (٣) درجة هذا الانتماء ، و (٤) تأويل النتائج.
و يُفضي بنا هذا الفصل إلي موضوع اللامساواة اللغوية و الاجتماعية و أنواعها ثلاثة هي : التميز اللغوي و نقص القدرة اللغوية و نقص القدرة الاتصالية .
و يتناول البحث في النوع اللول طبيعية التميز و النماذج المقولية و كيفية دراستها و تميز المعلمين و تميزات الطلاب ، أما دراسة النوع الثاني فهي تشمل موضوعين هما نظرية النقص و الشفرة المحدودة و الشفرة المسهبة.
و ترجع اهمية هذا الكتاب إلي كونه مرجعا أساسيا لا غني عنه للباحثين في علم اللغة الاجتماعي ،و لا سيما إذا لاحظنا أنه من أحدث فروع علم الاجتماع ، و أن ثمة إدراكا متزايدا لأهميته بالنظر إلي ما حققه من منجزات تعد كشوفا رائدة في موضوع العلاقة الجدلية بين

علمي اللغة و الاجتماع.كما نلاحظ ايضا ندرة المؤلفات و البحوث العلمية المتعمقة في هذا الميدان و خاصة في اللغة العربية .

و لا يكاد المتلقي يقرأ الصفحات الاولي من الكتاب حتي يتبين مدي الجهد الوفير الذي بذله المترجم لتزويد المكتبات العربية المتخصصة و لا سيما أقسام الاجتماعي الانثروبولوجيا و اللغة في الجامعات بمثل هذا الكتاب المرجعي، و لتأتي ترجمته مرآة تعكس الأصل و تمتاز بالدقة و الوضوح اللذين تحققا للمترجم بفضل تخصصه الاكاديمي اولا و خبرته في التعريب ثانيا .

و تتجلي القيمة العلمية و الدراسية للكتاب فيما أشار إليه المترجم من حرص المؤلف علي أن يكون هذا الكتاب مقدمة جامعة شاملة لمختلف المجلات التي يتكون منها علم اللغة الاجتماعي المعاصر ، بكل ما تتضمنه هذة المجلات من موضوعات مختلفة باختلاف اللهجات و التباين اللغوي و الخطاب و إنثوجرافيا الحديث و غير ذلك من القضايا الاجتماعية الاخري التي ترتبط باللغة و لا يتوقف د.هدسون عن هذة الموضوعات ، بل يفرد فصلا مستقلا لقضية العلاقة بين اللغة و الثقافة و الفكر . و تتسم معالجته بالعمق و الوضوح علي نحو يفيد القاري العادي من ناحية و يشوقه الي معرفة هذا الفرح الحديث من فروع اللغة و هو علم اللغة الاجتماعي من ناحية اخري .

و من ثم فإن هذا الكتاب في متناول المثقف العربي بوجه عام و طلاب اللغة من دارسي العربية بوجه خاص، و هو يفيد في التعريف بأوجه العلاقة القائمة بين اللغة و المجتمع في المجتمعات الغربية من جهة ، و ما يمكن أن ينطبق منها علي المجتمع العربي من جهة ثانية..فضلا عن هذا فإن ترجمة هذا الكتاب يتيح دوافع تنشِّط القيام بدراسات و مشاريع لغوية اجتماعية علي اسس علمية سليمة من جهة ثالثة .

و علي الرغم من أن موضوع دراسة العلامة هدسون هو عرض المجتمعات الأوربية فإن بعض الظواهر الاجتماعية اللغوية من الجانب المنهجي الذي يعين في كيفية تمثل تلك الظواهر الخاصة بمجتمعاتنا،و الذي يعين في محاولة الوصول إلي جوانب إجرائية متميزة تراعي الظواهر اللغوية العربية و أبعادها التطبيقية علي السواء .

الدكتور حسن فتح الباب
١٩٩٠